

١١ - الحديث الحادي عشر: «ترك الشبهات»

«عن أبي محمد الحسن بن علي (رضي)، قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ:
«دع ما يربُّك إلى ما لا يربُّك» رواه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حديث
حسن صحيح^(١).

٢ - شرح الحديث :

أ (البيان اللغوي :

* يربك : بفتح الياء الاولى وبضمها، الأولى «بالفتح» من فعل راب، وبالضم
من فعل: أراب، وبالفتح أفصح واشهر، وفي اللسان: الرِّبُّ والرَّيْبَةُ: الشك
والظُّنَّةُ، وجمع ريبة: رَيْب، قال ابن الاثير: دع ما تَشك فيه الى ما لا تشك
فيه، والريب في القلب: القلق والاضطراب، الموجب للشك وهو عكس
الاطمئنان.

* دع: فعل امر. والماضي: ودع: ومنه قراءة: ما ودَّعك ربك وما قلى،
والمضارع: يدعُ، والودع: الترك، والمصدر: الودَّع^(٢).

ب - المعنى الاجمالي :

إذا أراد المسلم ان يسلم دينه من النقص، وعرضه من الطعن والذم، وأن
يضمن البعد عن الحرام؛ فعليه أن يتقي الشبهات، وأن يتعد عن مواطن الريبة،

(١) قال النووي في التقريب: وقول الترمذي وغيره: حديث حسن صحيح، معناه: انه روي باسنادين،
احدهما يقتضى الصحة والآخر الحسن / ص ٩٢ من تدريب الراوي للسيوطي.
(٢) انظر القسم الثاني من الكتاب.

وان يجعل من قلبه العامر بالايان والتقوى وبرقابة الله دليلاً وميزاناً يزن به الأمور،
واذا لم تسكن نفسه إلى امر، وحصل لديه اي شك في جوازه فالاسلم تركه؛ فإن
له فيما تطمئن اليه نفسه ويرتاح له فؤاده كفاية، ولو اردنا إجمال معنى الحديث قلنا:
أترك ما شككت في حله، وافعل ما تأكدت من حله، او في جملة واحدة: ابتعد عن
الشبهات.

٣ - بعض ما يرشد إليه :

* هنالك رواية أخرى في الحديث، فيها زيادة: فإن الكذب ريبة، والصدق
طمأنينة؛ وهي تفيد: وجود تلازم قوي بين الكذب والريب، ومن هنا ورد:
بش مطية الرجل زعموا، كما ان هنالك تلازماً بين الصدق والطمأنينة، بمعنى:
ان الصدق وتحريه يؤديان الى طمأنينة النفس، وطمأنينة النفس هي الاخرى ترشد
الى الصدق.

* جعل الله سبحانه قلب المؤمن دليله الى الخير، وميزاناً يزن به الأمور، عندما
تختلط عليه وليس ذلك لغير المؤمن؛ اذ قلب المؤمن عامر بالايان وبرقابة الله
تعالى «الاحسان»، مستشعر دائماً لعظمته تعالى والخشية منه، فهو لذلك يطمئن
الى الخير والحلال، ويفزع من الشر والحرام، ويضطرب.

* الاسلام يقيم من ضمير الانسان، رقيباً عليه، ويخاطب حسه ووجدانه،
الوجدان الحر الذي لم تكدره مصلحة، ولا انحرفت به شهوة، ولا حجزته فتوى
متساهلة، وهذا اساس تربوي أصيل، يساهم في بناء الشخصية المستقلة
المعتمدة على نفسها، الشخصية المبدعة، الشخصية المتوازنة التي لا تظل موزعة
بين المتناقضات.

* على المؤمن ان يجتنب مالا يتيقن من حله.

* الورع من قواعد الدين، وهو لا يكون الا باجتناب الشكوك والشبهات.

* لا ينبغي الاعتقاد على قول كل قائل، وانها يعتمد على قول من يقول الصدق،
وعلامه الصدق: ان تطمئن به القلوب، وعلامة الكذب ان تنفر
القلوب منه ولا تطمئن اليه، ومن هنا كان العقلاء على

عهد النبي ﷺ اذا سمعوا كلامه ودعوته عرفوا انه صادق، وقد كان ذلك سبباً لاسلام الكثيرين، وقصة عبد الله بن سلام الحبر اليهودي معروفة في سبب اسلامه؛ ولذا قيل: صوّر ما شئت في قلبك وتفكر فيه ثم اعتبره بضده، فانك اذا ميزت بينهما عرفت الحق من الباطل والصدق من الكذب^(١).

٤ - بعض التطبيقات :

* عن عبد الله بن مسعود (رضي)، قال: . . . من عرض له قضاء، فليقض بما في كتاب الله، فإن لم يكن في كتاب الله، ففي سنة رسول الله، فان لم يكن في سنة رسول الله، ففيما استنّ الصالحون، فان لم يكن فيما استنّ الصالحون، فليجتهد رأيه، ولا يقولنّ: أخاف وأخشى، فان الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك امور مشتبهات، فدع ما يريك الى ما لا يريك^(٢).

* في الحديث: اذا ابتغى الأمير الريّة في الناس أفسدهم، اي اذا اتهمهم وجاهرهم يسوء الظن فيهم أذاهم ذلك الى ارتكاب ما ظنّ بهم ففسدوا.

* عن بشر بن كعب أنه قرأ: «فامشوا في مناكبها» ثم قال لجاريتته: إن دريت ما مناكبها فأنت حرة لوجه الله، قالت: جبالها، فكأنها سفع في وجهه، ورغب في جاريتته، فسأل اهل العلم، فمنهم من امره، ومنهم من نهاه، فسأل ابا الدرداء (رضي)، فقال: «الخير طمأنينة، والشر ريبة، فذر ما يريك الى ما لا يريك»^(٣).

* قال الشافعي (رضي): اصل ما انبنى عليه الاقرار: أني اعمل اليقين واطرح الشك، ولا استعمل غلبة الظن، وقال: ما ثبت بيقين لا يرتفع الا بيقين، فلو شك في اثناء الوضوء او الصلاة أو غيرها من العبادات، في ترك ركن وجبت إعادته، ومن شك: هل فعل شيئاً أولاً، فالأصل: انه لم يفعله، ومن تيقن الفعل، ولكن شك في القليل أو الكثير، حل على القليل

(١) جامع العلوم / الطبعة القديمة ص ٩٦.

(٢) الفقيه والمتفقه ج ١ ص ٢٠١.

(٣) جامع العلوم / الطبعة القديمة ص ٩٦.

لانه المتيقن، فلو شك: هل غسل ثنتين او ثلاثة، بنى على الأقل، وأتى
بالثالثة^(١).

* ومن تطبيقات قاعدة: اليقين لا يُزال بالشك: انه اذا شك في صلاته، فلم يدر
كم صلى، فليطرح الشك، وليبن على ما استيقن^(٢).

* ومن القواعد المتصلة بهذا الحديث: الرخص لا تناط بالشك، فمن شك في جواز
القصر، وجب عليه الاتمام^(٣).

* ومن القواعد: لا عبرة بالظن البين خطؤه، كما لو ظن انه متطهر فصلى ثم بان انه
محدث، او ظن دخول الوقت، فصلى، ثم بان عدم دخوله، او ظن الصائم بقاء
الليل او غروب الشمس، فأكل ثم بان خلافه... الخ^(٤).

* قال ابو عبد الرحمن العمري الزاهد: إذا كان العبد ورعاً ترك ما يريه الى مالا
يريه^(٥).

* كتب غلام لحسان بن أبي سنان إليه من الأهواز: ان قصب السكر أصابته آفة،
فاشتر السكر فيما قبلك، فاشتره من رجل، فلم يأت عليه إلا قليل فإذا فيما
اشتره: ربح ثلاثين ألفاً، قال: فأتى صاحب السكر، فقال يا هذا ان غلامي
كان قد كتب إلي فلم أعلمك، فأقلني فيما اشتريت منك، فقال له الآخر: قد
اعلمتني الآن، وقد طيبته لك، قال: فرجع فلم يحتمل قلبه، فأتاه، فقال: يا
هذا إني لم آت هذا الأمر من قبل وجهه، فأحب ان تسترد هذا البيع، وما زال به
حتى رده^(٦).

* روى ان أم بشر الحافي ناولته تمر، فأكلها، ثم سعد الغرفة فقاءها، وذلك
ليجمع بين بر والدته وبين الامتناع عن المشبوه^(٧).

* قال علي حسب الله: ومن يرى ان ادلة المنع: «اي منع الذريعة المباحة أصلاً»
وردت في جزئيات، قد يستوي فيها احتمال المصلحة والمفسدة، يمنعها،
ويؤيده: قوله ﷺ: «دع ما يريبك»^(٨).

(١) الاشباه والنظائر.

(٢) الاشباه / ٥٦-٦٢، وقد قال السيوطي معلقاً على القاعدة: انها تدخل في جميع ابواب الفقه،
والمسائل المخرجة عليها تبلغ ثلاثة أرباع الفقه.

(٣) الاشباه ص ١٥٦. (٤) الاشباه ص ١٧٤. (٥) الجامع ص ٩٤.

(٦) جامع العلوم ص ٩٤. (٧) مختصر المنهاج ص ٨٨. (٨) اصول التشريع ص ٣٢٠.

- * تنزه يزيده بن زريع عن خمسمائة الف من ميراث أبيه، فلم يأخذه، وكان أبوه يلي الاعمال للسلطين، وكان يزيده يعمل الخوص، ويتقوت منه^(١).
- * سئلت عائشة (رضي) عن اكل الصيد للمحرم اذا لم يصده هو، وانما وجده قد صاده غيره، فقالت: إنما هي أيام قلائل، فإربابك فدعه: يعني ما اشتبه عليك: هل هو حلال او حرام فاتركه^(٢).
- * الخروج من اختلاف العلماء افضل لانه ابعد عن الشبهة.
- * اجتمع حسان بن أبي سنان، ويونس بن عبيد، فقال يونس: ما عاجلت شيئاً اشد علي من الورع، فقال حسان: ما عاجلت شيئاً اهون علي منه، قال: كيف؟ قال: تركت ما يربيني الى مالا يربيني، فاسترحت^(٣).

٥ - مناقشة :

- س ١ (هل يجب ترك الشبهات ؟ ج ١) الأصح انه مندوب، بل ورد عن عمر (رضي): ان الكسب المشبوه أولى من السؤال، وعليه فإن الأمر في الحديث: دع، يفيد التذنب.
- س ٢ (ما حكم وضوء من نام مضطجعاً ؟ ج ٢) ينتقض وضوءه لان الظاهر خروج الحدث، فرفعنا يقين الطهاره بظن الحدث.
- س ٣ (اعرب : دع^(٤))
- س ٤ (هل الورع درجة ام درجات ؟ ج ٤) الورع درجات:
- ١ - العدول عن كل ما تقتضي الفتوى تحريمه.
 - ٢ - العدول عن كل شبهة يستحب اجتنابها، وهذه الدرجة هي ما في الحديث^(٥).
 - ٣ - الورع عن بعض الحلال مخافة الوقوع في الحرام.
 - ٤ - الورع عن كل ما ليس لله، ومن ذلك ما حصل ليحيى النيسابوري فقد

(١) الجامع ص ٩٥. (٢) السابق ص ٩٥. (٣) نيل الاوطار ج ٥ ص ٢٣٨.

(٤) انظر ذلك في القسم الثاني من الكتاب.

(٥) مختصر المنهاج ص ٨٣.

روي انه شرب دواء، فقالت امرأته: لو مشيت قليلاً في الدار حتى يعمل الدواء «الشربة»، فقال: هذه مشية لا اعرفها، اي لا يعرف انها تتعلق بالدين، وقد قسمه الغزالي الى: ورع الصديقين، والمتقين، والصالحين والموسوسين^(١).

س ٥ (اذا قدم لك طعام، او هدية، او اردت ان تشتري شيئاً، أو تهبه، فهل عليك أن تبحث وتتحرى حقيقة الحال؟

ج ٥) قال الغزالي رحمه الله: ليس عليك ان تبحث، وليس لك ان تترك البحث بالمرة، والامر يحتاج الى نظر وتفصيل؛ فان كان منشأ الريبة امرأً يتعلق بصاحب المال؛ بان كان مجهولاً لديك، ثم قدم لك طعاماً او نحوه، فلا يلزمك السؤال، وان حصل الشك بسبب دلالة اورثت ذلك، فمن الورع ترك التعامل معه، واذا كانت الحالة معلومة - بنوع خبرة - بحيث يوجب ذلك ظناً في حل المال او حرمة - مع مخالفة الباطن للظاهر - فلا تسأل ولا تبحث^(٢).

س ٦ (بأي الاحاديث يرتبط هذا الحديث ؟

ج ٦) ١ - بحديث الحلال والحرام، كما سبق، لأنه في معنى: اتقاء الشبهات^(٣).

٢ - ويحدث: البر والاثم، واستفتاء القلب، لأن الامر فيها مستند الى حكم القلب، وقد جمع بينهما صاحب الوصايا الاكبرية، اذ قال: اما الشبهة فما حاك في صدرك، ثبت عنه عليه السلام انه قال: الاثم ما حاك في صدرك»، وقد ورد في الخبر: دع ما يريبك، وورد: استفت قلبك وان افتاك المفتون^(٤).

س ٧ (اذا اختلفت عليك الفتاوى فما الحكم ج ٧) إن كنت تجد في نفسك تردداً

(١) نقلاً عن نيل الاوطار ج ٥ ص ٢٣٩ / وانظر فيه معنى ورع هؤلاء.

(٢) تهذيب الاحياء ج ١ ص ٢٣٠، ٢٣١. وقد ورد عنه عليه السلام: اذا دخل احدكم على اخيه، فاطعمه طعاماً فليأكل من طعامه ولا يسأله عنه، وان سقاه شراباً من شرابه فليشرب من شرابه ولا يسأله عنه، رواه احمد/ عن نيل الاوطار ج ٥ ص ٢٣٨.

(٣) قال ابن مسعود (رضي): الحلال بين والحرام بين وبينها امور مشبهات فدع ما يريبك / الاعتصام ج ٢ ص ١٥٤.

(٤) الوصايا ص ٧٢، ٧٣.

في الحل فاجتنبه ولكن لا تحرمه .

س ٨ (هل ترك ما يريب مطرد على كل الاحوال، ام له استثناءات ؟
ج ٨) غير مطرد، وله استثناءات، كالذي قدمناه عن عمر (رضي)، في
السؤال الأول، وقد اشار البخاري رحمه الله الى ان الوسواس ليست من
الشبهات، وعقد لذلك باباً في صحيحه^(١)، وضح عنه ﷺ انه قال: لا
ينصرف حتى يسمع صوتاً او يجد ريحاً اي من شك في الحدث وهو يصلي،
فلا يجوز قطع الصلاة لذلك^(٢) .

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى : وها هنا امر ينبغي التفتن له،
وهو: ان التدقيق في التوقف عن الشبهات : انما يصلح لمن استقامت احواله
كلها وتشابهت اعماله في التقوى والورع، بخلاف من يقع في انتهاك المحرمات
ثم يريد ان يتورع عن شيء من دقائق الشبهة، فمثل هذا ينكر عليه ذلك،
فضلاً عن عدم استحبابه منه، وقد سأل رجل بشراً بن الحارث عن رجل له زوجة
وامه تأمره بطلاقها، فقال: ان كان برّ أمه في كل شيء ولم يبق من برها إلا
طلاق زوجته فليفعل، وان كان يبرها بطلاق زوجته ثم يقوم بعد ذلك الى
امه فيضر بها فلا يفعل^(٣) .

س ٩ (كيف جعل الشارع القلب، وفي رواية النفس، حكماً، مع ان الله تعالى
وصف النفس بأنها أمانة بالسوء؟
ج ٩) ان هذا الوصف ورد مقترناً باستثناء: الا ما رحم ربي، وهي الرحمة التي
تنجلي في صلاح الضمير واستقامة الوجدان، ورهافة الاحساس، وصلاح
القلب كما سبقت إليه الاشارة.

س ١٠ (ما سبب ورود الحديث ج ١٠) الحديث جهه جواباً عن سؤال، وقد اورد
الشاطبي سبب وروده بالمعنى، قال: خرج البغوي في معجمه: ان رجلاً سأل
الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله ما يحل لي مما يحرم علي؟ فسكت الرسول ﷺ

(١) عن نيل الاوطار ج ٥ ص ٢٣٩ .

(٢) جامع العلوم ص ٩٥ . وقال مالك: ان طلب الرزق في شبهة أحسن من الحاجة الى الناس . ج ٢
الموافقات ص ١٠٥ ، وقال الغزالي: ينبغي ان يقدم طاعة الوالدين في تناول المشابهات على التورع عنها
مع عدم طاعتها/ السابق ص ١٠٥ .

(٣) جامع العلوم ص ٩٥ / الطبعة القديمة

فردد عليه ٣ مرات، كل ذلك يسكت، ثم قال: أين السائل؟ فقال: أنا ذا
يارسول الله، فقال، ونقر باصبعه: ما انكر قلبك فدعه^(١).

س١١) طعن الشاطبي في سند هذا الحديث وما في معناه من أحاديث، كحديث
البر والاثم، مع ان بعضها جاء في الصحيح، فإ الحامل له على ذلك، وما
جوابك عنه؟

ج١١) الحامل له على ذلك اغلاق باب الابتداع، خشية ان يُدخَل إليه من
هذه الاحاديث التي تدل على مشروعية الرجوع الى استحسان العقل
والنفس، الذي هو عين الابتداع، ورغم انه نقل بعض روايات التضعيف عن
الطبري، ورغم ان الطبري رجح الصحة، قائلاً ثم اختار أعمال تلك
الاحاديث، رغم ذلك، إلا أنه اظهر الميل الى تضعيفها، ومن ذلك قوله:
قلنا: لو صحت هذه الاخبار لكان ذلك إبطالاً لامره بالعمل بالكتاب
والسنة. / وأما الجواب: فليس في الحديث ما يشير الى استحسان فعل،
وانما هو صريح فيما هو من استقباح القلب المؤمن لما هو مشتبه، فلا اشكال
ولا معارضة لنصوص أصح^(٢).

(١) الاعتصام ج ٢ ص ١٥٤.

(٢) السابق ص ١٥٣.